

جهود علماء تلمسان في التفسير خلال العهد العثماني

THE EFFORTS OF TLEMCEN SCIENTISTS IN THE INTERPRETATION DURING THE OTHMAN REIGN

الباحثة: زاوي هواريتة

جامعة أحمد بن بلّة وهران 1- الجزائر

البريد الالكتروني: omrihabzaoui83@gmail.com

الملخص:

حظي علم التفسير باهتمام كبير من طرف علماء الجزائر وعلى رأسهم علماء حاضرة تلمسان، فقد عرفت هذه الأخيرة جهابذة كبار ظهرُوا أثناء العهد العثماني، اشتغلُوا بعلم التفسير، ومن بين هؤلاء العلماء نجد: أحمد المقري، وأحمد المنجري التلمساني، ومحمد أحمد بن الوقاد أبو عبد الله... الخ. علماء تركُوا بصمتهم في علم التفسير، سواء عن طريق التأليف أو التدريس، إلا أن الحالة العامة للجزائر خلال هذا العهد حالت بين تطور العلوم وازدهارها، مما جعل البعض يصف هذا العهد بعهد الركود والخمول في مختلف العلوم، إلا أن هذا لم يحد من جهود علماء تلمسان الذين ضلُوا صامدين وخدموا علم التفسير تأليفاً وتدرّيساً.

الكلمات المفتاحية: جهود-علماء-تلمسان-التفسير-العثمانيون

Abstract

The science of interpretation had a big concern from the scientists of algeria and the first of them ,the tlemcanian ones. This later knew a big scientists ,they appeared during the OTHMAN Reign. They worked in the science of interpretation among them we find: Ahmed en makkary, Ahmed elmandjary tlemcani and Mohamed Ahmed ben alwakad abuo abd Allah.....exit.

The general case of algeria during this covenant prevented between the development and the prosperous of the sciences.that derived some people to describe it as the Reign of slackness and laziness in different sciences. But This didn't limite the progreses of the tlemcanian scientists who were strong and never give up,they also served the interpretation science in term of composition and teaching.

Key words.efforts-scientists-algeria-interpretation-the ottoman

مقدمة

إعتنى علماء الإسلام بالقرآن الكريم وتفسيره عناية تامة، باعتباره المصدر الأول في التشريع، حيث لم يدخروا أي جهد لخدمته وبيان معانيه ومصطلحاته وألفاظه، فصنفوا العديد من المؤلفات، وأجروا العديد من الأبحاث على مر الأزمان والأيام، ولعل من بين هؤلاء العلماء نجد علماء حظيرة تلمسان " الذين كانت لهم جهود ومساهمة عظيمة في خدمة هذا الفن النبيل، حيث تناولوه تدريساً وتأليفاً.

الاشكالية: تضمنت هذه المداخلة إشكاليات على النحو التالي:

1_ من العلماء التلمسانيين الذين كان لهم الأثر البالغ في علم التفسير أثناء العهد العثماني؟

2_ ماهي أهم مصنفاتهم في علم التفسير؟

3_ فيما تجلت جهودهم، وما أثرها على غيرهم؟

الاهداف: 1_ إبراز أهمية ومكانة علماء تلمسان وما مدى اعتنائهم بالتفسير.

2_ الاستفادة من تراثهم التفسيري.

3_ معرفة مناهجهم في التفسير.

المنهج المتبع في الدراسة: اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي مستعينة بأداة الاستقراء وذلك بجمع وتتبع الجزئيات المتعلقة بموضوع الدراسة، وكذا المنهج الوصفي والتحليلي.

خطة البحث:

تتناول الدراسة أولاً: تحديد مصطلحات البحث واقصد بيان معنى لفظة كل من (جهود) و(علماء) و(علم التفسير) و(تلمسان) مع الإشارة الى تعريف العهد العثماني.

ثانياً: التعرّيج على الاوضاع العامة لتلمسان خلال العهد العثماني لأن الباحث في هذا السياق يتعين عليه ان يذكر الاوضاع العامة السياسية منها، وخاصة الثقافية والدينية ليتمكن من الوقوف على حقيقة مجرى الامور.

ثالثاً: الوقوف على علم التفسير التلمساني خلال العهد العثماني بذكر ابرز اعلامه ومصنفاتهم وبيان خصائصها وسماتها.

مدخل تمهيدي: التعريف بمصطلحات البحث:

قبل الشروع في متن الرسالة وتفصيلها إقتضت الخطة البدء بمدخل للتعريف بمصطلحات البحث، لوضع القارئ والمطلع في جو البحث.

أولاً: تعريف الجهود لغة:

مادة [الجيم-الهاء-الذال] أو تأتي على عدة معان:

-الجهد بالضم: يراد به الطاقة¹.

-الجهد بالفتح: يراد به بلوغ غاية الأمر مثل قوله جهدت جهدي واجتهدت برأيي ونفسي حتى بلغت مجهودي²، والأمر جهدت من باب النفع، إذ طلب غايته بلغ غايته في الطلب³.

¹ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ج2، ص460.

-الجهد: يراد به أيضا المشقة مثل قوله جهد دابته واجهدك إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها⁴.

فالجهد إذن يطلق ويراد به بذل الجهد والطاقة وبلوغ الغاية في الطلب.

ثانيا: تعريف العلماء:

1. العلماء لغة: مادة [العين، اللام، الميم] تأتي على عدة معان:

-العالم: يراد به الرجل الفقيه، وكل عالم بشيء فهو فقيه⁵.

-العالم: يراد به كذلك الحكم بمعنى متقن للعلم⁶.

-يقصد بالعالم: المعني، يقال معني بها أي: عالم بها⁷.

-رجل علامة أي: عالم جدا، وعالم يراد به الطَّب، يقال فلان طب بكذا أي : عالم⁸.

جمع عالم: علماء وعالمين وأعلام القوم سادتهم⁹.

فالعالم هو المتمكن من العلم والمتقن له.

2. العلماء إصطلاحا: يختلف تعريف العلماء حسب مجال

التخصص، والعلماء المقصودون بالتعريف في هذا الموضع هم علماء الشريعة

والتفسير، فعلماء التفسير هم العلماء المزاولون له، وإذا ما أطلق لفظ العلماء

² المصدر نفسه، ج2 ص460. العين، خليل الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج3، ص386.

³ المصباح المنير في غريب شرح الكبير، الفيومي، ج1، ص112.

⁴ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ج2، ص460.

⁵ تهذيب اللغة، محمد بن احمد بن الأزهرى الهروي أبو منصور، تح: محمد عوض مرعب، ج5، ص263.

⁶ الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن قاسم بن محمد بن بشار أبوبكر الأنباري، تح: خاتم صالح الضامن، ج1، ص109.

⁷ المرجع نفسه، ج3، ص348.

⁸ المرجع نفسه، ج3، ص2.

⁹ جمهرة اللغة، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبيكي، ج2، ص948.

فإنه ينصرف إلى علماء الشريعة الذين هم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن العلماء ورثة الأنبياء"¹⁰.
ثالثا: التعريف بتلمسان وأهميتها العلمية: يمكن الحديث في هذا المطلب على الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة تلمسان والبعد التاريخي لها، إضافة إلى أهميتها وأقوال العلماء فيها.

1: التعريف بتلمسان: تعتبر تلمسان من أحسن مدن الشمال الإفريقي الغربي موقعا، لكونها في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة، وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى¹¹، وتقع فلكيا عند تقاطع نقطتي خط الطول 1.3° غربا وخط عرض 34.7° شمالا، كما أنها تبتعد عن البحر بنحو 60 كلم وترتفع عنه بـ 806م¹².

وتتميز ببعد تاريخي ضارب بجذوره في القدم من فترة ما قبل التاريخ، ثم فترة التاريخ القديم مع بني يفرن واختطافهم لمدينة أجادير، ما قبل القرن الثالث قبل الميلاد (ق.3 م)، ثم قيام إمارة أبي قرّة ليفرني مع منتصف القرن الثاني للهجرة، وبعدها كمركز إشعاع ثقافي مع الأدارسة مع نهاية القرن (2هـ-8م) بداية القرن (3هـ-9م)¹³، حيث خلفوا سوى جامع أكادير بتلمسان والذي لم يبق منه ظاهرا إلا الصومعة سنة (174هـ-790م)¹⁴.

ثم بعد مجيء المرابطين شهدت تلمسان نقلة نوعية ببناء مدينة تاقراوت في نهاية القرن (5هـ-11م) فأصبحت مركز إشعاع حضاري¹⁵، حيث كان بلاطهم

¹⁰ سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى:

273هـ)، تج: محمد فؤاد عبد الباقي، ص 81، رقم الحديث: 223.

¹¹ باقة سوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، محمد بن رمضان شاوش، ص 29.

¹² أسر العلماء بتلمسان ومساهماتها في حضارة بني زيان، نصر الدين بن داود، ص 27.

¹³ البيوتات العلمية بتلمسان الزبانية بيت المقرئ وإسهاماته الحضارية، الملتقى الوطني في إطار فعاليات شهر التراث، (18 أفريل، 18 ماي 2015) ص 1-2، المقدمة.

¹⁴ تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، ج 1، ص 253.

¹⁵ البيوتات العلمية بتلمسان بيت المقرئ وإسهاماته الحضارية، الملتقى الوطني، ص 1-2.

لا يخلوا من عالم أو فقيه أو أديب، وكان من أهل الثقافة العالية آنذاك أبو عبد الله محمد بن سحنون الطيب الندرومي الكومي (ت610)، نسبة إلى كومية بأحواز تلمسان، فاهتم علي بن يوسف بن تشافين ببناء المسجد الجامع في جمادى الثانية سنة (530هـ)، وجامع ندرومة، وكذلك قام ببناء قلعة المشور التي تعتبر مكان خيمته أثناء حصاره لأغادير سنة (550هـ-1155م)¹⁶.

وبعدهم تدخل فترة الموحدين خلال القرن (6هـ-12م) إلى أن ارتفعت حضارة المغرب الأوسط مع الزيانيين من القرن (7هـ-12م) إلى القرن (10هـ-16م)¹⁷، وصارت دار مملكة زناته¹⁸.

فقد حبي الله تلمسان بنعم وفيرة، إبتداء من اعتدال مناخها وجمال طبيعتها وطيبة أهلها، وغيرها من العوامل التي ساعدتها لتتبوأ مصاف الحواضر العلمية العالمية¹⁹، هذا ما جعلها تكون محط أنظار السلاطين وأطماعهم ومحاولة الإستحواذ عليها.

2- أهمية مدينة تلمسان العلمية: من خلال اطلاعي في كتب التاريخ عن مدينة تلمسان تبين لي أن لهذه المدينة العريقة أهمية بالغة، تكمن في موقعها الجغرافي وبعدها التاريخي، إذ تعد بوابة المغرب للدخول والخروج، فالتجياز بها ضروري بين الغرب والشرق والشمال والجنوب، هذا ما جعلها تكون مدينة متكاملة ذات خاصية إجتماعية نفيسة، يأتون من كل فج ينهلون من علمها ويأخذون عن علمائها.

¹⁶ تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، ج2، ص16-17.

¹⁷ البيوتات العلمية بتلمسان بيت المقرئ وإسهاماته الحضارية، الملتقى الوطني، ص1-2.

¹⁸ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، تح: مولان بيبي بروفيتسال، ج1، ص65.

¹⁹ حاضرة تلمسان ومساهمة فقهاء في خدمة المذهب المالكي، ماحي قندوز، ضمن الملتقى الوطني، جهود فقهاء الجزائريين في خدمة المذهب المالكي، ص109.

كما أن توالي السلطات الحاكمة عليها جعلتها تصمد أمام مختلف عوامل التغير²⁰.

رابعاً: تعريف علم التفسير: للعلماء عدة أقوال في تعريف تفسير القرآن منها مايلي:

عرفه الإمام الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره (التحرير والتنوير) فقال ما ملخصه: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع. وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه²¹.

كما عرفه أبو حيان الأندلسي في (البحر المحيط): "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك"²².

خامساً: تعريف العهد العثماني:

قبل الحديث تعريف العهد العثماني لابد من الإشارة الى: من هم العثمانيون؟

1-العثمانيون:

"ينتمي الأتراك العثمانيون إلى قبائل الغزا التركية بقلب آسيا، هاجروا إلى موطنهم الأصلي بأذربيجان، واتجهوا غرباً إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى في الأناضول، وكونوا دولتهم في نهاية القرن الثالث عشر 1288م، على حساب دولة بيزنطة واستولوا على عاصمتها في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح عام 1433م"²³.

²⁰أمر العلماء بتلمسان، نصر الدين بن داود، ص35-36.

²¹تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، ص11-12.

²²تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، تخ:عادل احمد عبد الموجود وجماعة، ج1، ص10.

²³الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، يعي بوعزيز، ص5.

وكانت تسميتهم بالعثمانيين نسبة إلى مؤسس الدولة العثمانية عثمان بن أرطغل، الذي ولد عام سقوط الخلافة السياسية في بغداد²⁴.

ثم أخذت الدولة العثمانية في التوسع في أوروبا وآسيا والمشرق العربي، وحتى وصلت إلى حوض البحر الأبيض المتوسط عن طريق البحارة: "عروج وخير الدين وإسحاق الذين اعتبروا أن أكبر المجاهدين في منطقة البحر الأبيض المتوسط، ويرجع أصل هؤلاء الإخوة إلى الأتراك المسلمين، وكان ولدهما يعقوب بن يوسف من بقايا الفاتحين المسلمين الأتراك الذين استقروا في الجزيرة مدلي إحدى جزر الأرخبيل أهم من أصل أندلسي"²⁵.

2- العهد العثماني: انقسم حكم العثمانيين للجزائر إلى ثلاثة ادوار:
* دور الولاة الملقبين بيكليك²⁶ (1518-1587م):

بدا هذا الدور بمحاولة التخلص من الإسبان وطردهم من بجاية ومن المهديّة وكان ذلك بولاية خير الدين، الذي اتخذ مدينة الجزائر عاصمة ومركز لحكومته، واهم ما يميز هذه المرحلة، إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، حيث أصبحت إحدى ولاياتها²⁷.

* دور الباشاوات²⁸ (1587_1671م): وكان الباشاوات عبارة عن ولاة غرباء عن البلاد يحملون لقب باشا ترسلهم استانبول منذ عام 1587م ويحكم الباشا

²⁴ الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، علي محمد الصلابي، ص41.

²⁵ المرجع نفسه، ص231.

²⁶ يعني أمير الأمراء بالتركية، وهو من أعلى المناصب في الدولة العثمانية. انظر المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، سهيل صابان، ص64.

²⁷ انظر: تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، صالح فركوس، ص106. نقلا من رسالة جهود علماء الجزائر في التفسير، ركيبي سامية، ص9.

²⁸ الباشا معناه في القدم الملك أو الباشا، وهو لقب عثماني أطلق على متعددة، عسكرية ومدنية، وعلى

الذين يرقون إلى درجة وزير أو أمير الأمراء. انظر: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص25.

لمدة ثلاث سنوات، وكانوا يشترطون المنصب بالمال ويحرصون بالتالي على جمعه، وحدث في عهدهم أمر عظيم من الفوضى والحروب بين الجنود والقبائل أدى إلى تولي رؤساء البحرية السلطة وهو حكم الدايات²⁹.

* دور الدايات 1671م-1830م: (الداي لفظ تركي معناه الخال)

انتقلت السلطة إلى الدايات وهم رؤساء البحرية، وقد كانت بيده السلطة الحقيقية فنصبوا واحدا منهم على أن تبقى له السلطة مدى الحياة، ولما رأت السلطة العثمانية أنها عاجزة عن فرض إرادتها على الجزائر كفت عن إرسال الباشاوات، ومنحت الدايات لقب باشا باعتباره ممثلا لسلطتها وبقي الأمر على ذلك حتى الاحتلال الفرنسي³⁰.

المبحث الأول: الحالة العلمية في الجزائر أثناء العهد العثماني :

من خلال بحثي حول هذا الأوضاع، وجدت أنه قد تختلف الآراء حول المردود الثقافي في هذا العصر، إلا أن مجملها يصب في كون العهد العثماني النقطة السوداء في تاريخ الجزائر من الناحية الثقافية والعلمية، مقارنة بثرائها ومحصولها في عصر الحماديين والزيانيين.

فقد اتسمت المرحلة العلمية في العهد العثماني بكونها: "مرحلة ركود علمي وسبات ثقافي، خاصة مع بداياته، فسلبية الوجود العثماني في الجزائر، ظهرت في الميدان الثقافي على وجه الخصوص، ويصف أحدهم تلك المرحلة بمرحلة فراش الإحتضار، إذ يقول: الثقافة في الجزائر كانت رهن فراش الإحتضار"³¹.

وما يلفت النظر حول الوضع الثقافي في هذا العصر أن إنتاج العلماء ومردودهم العلمي كان في العلوم الشرعية المتداولة لا في الأمور العلمية كالإختراع وماشابه ذلك.

²⁹ انظر: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، بن طرهوني، ج2، ص98.

³⁰ انظر: المرجع نفسه، ص94.

³¹ جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص19.

فالمردود الثقافي لهذه الفترة يمكن القول عليه: "انه كان ضئيلا بالنسبة للأقطار الإسلامية الأخرى فالنتاج العلمي غالبا كان محصورا في بعض التفاسير التي جلتها لم يكمل في الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية دون مصنفات القدامى أو المعاصرون لهم في قطرهم"³².

وعلى ضوء هذا القول يلتمس بأن النتاج الثقافي لهذه الفترة لم يأت بالجديد "فقد قلت أثار الإبداع على إنتاج العلماء، بحكم الجمود العقلي وشيوع الدروشة والتخلف السياسي، فالتمس هؤلاء العلماء نشاطهم العقلي في دراسة أعمال السابقين والنظرة إليها نظرة تقديس، وعكفوا عليها يشرحونها ويحشون عليها ويكررونها، مختصرين لمطولاتها ومطولين لمختصراتها، وموضحين لغوامضها، وقد شمل ذلك كتب الفقه والنحو والتصوف والسيرة والتوحيد"³³.

فأما علم التفسير وهو موضوع ورقتنا اليوم فنجد من الأعلام المشهورين فيه في ولاية تلمسان أثناء العهد العثماني: علي بن يحيى السلكسيني الجاديري، ومحمد بن عبد الرحمان بن جلال، ومحمد احمد بن الوقاد، واحمد بن محمد المقرئ، وعبد الرحمان بن إدريس المنجري، وابن اللو التلمساني، ومحمد الزجاي، إلا أن ما يلاحظ في هذا العلم انه لم يرتق أحد إلى تأليف في التفسير بحجم تفسير الثعالبي المشهور "بالجواهر الحسان"³⁴.

هذه النماذج تعكس الحركة التفسيرية في هذا العهد، أما عن مجمل ما قيل على إنتاج العلماء في العلوم الشرعية، أن التأليف كان ينحصر في مجالات تفسير القرآن الكريم وبعض العناية بالقراءات ومجموعة من الإثبات

³² التحفة المرضية، محمد بن ميمون، ص 611.

³³ جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص 20.

³⁴ تاريخ الجزائر، ابوأقاسم سعد الله، ج 2/ص 16.

والإجازات، بالإضافة إلى أعمال فقهية تناولت فروعاً من العبادات والمعاملات.³⁵

كما يمكن أن نتناول التفسير من ناحيتين: ناحية التدريس وناحية التأليف. أما تدريس التفسير قد كان شائعاً بين العلماء البارزين، غير أن ظاهرة التقليد والحفظ كانت مهيمنة على العلماء في جميع الميادين، ومن بينها ميدان التفسير.

أما التأليف في التفسير فالخوض فيه قليل. ورغم شهرة مدرسة تلمسان العلمية فإنها لم تنتج مفسرين للقران الكريم جديرين بالإشارة.³⁶ أما عن طبيعة الأسلوب الذي اتسم به علماء هذا العصر فقد وصفه أحدهم "بأن أغلبه مشهور بالفاظ العامة، زيادة على ركافة التركيب لاسيما في العقود الشرعية والخطب المنبرية".³⁷

وما يعكس ملامح الحياة الثقافية في هذا العهد ويلخص مجملها أبي راس الناصري الذي يعد من أعلام العهد وشخصياته فقد صور وضع الحياة بقوله: "في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده وسدت مصادره... ونسجت عليها عناكب النسيان وأشرقت الشمس على الأفوال".³⁸

فقد اتسمت مؤلفات العلماء بالتقليد والتكرار والحفظ الجاف وركافة الأسلوب، فنال العثمانيون بذلك لقب دعاة الحرب لا دعاة الثقافة.

إلا أن هذا لا يعني إنكار بعض المحاولات الطيبة الساعية إلى التغيير التي تحمل في طياتها روح المبادرة والمساهمة في التغيير، وهذا ماتم التماسه مع بداية القرن الثاني عشر "ففي القرن الثاني عشر هجري عرفت الجزائر أسماء

³⁵ تاريخ الجزائر، أبو قاسم سعد الله، ج2 ص12.

³⁶ تاريخ الجزائر، أبو قاسم سعد الله، ج2 ص12-16.

³⁷ التحفة المرضية، محمد بن ميمون، ص59.

³⁸ تاريخ الجزائر، أبو قاسم سعد الله، ج2 ص402-403.

لامعة في الإنتاج التاريخي والعلمي كما أولت الجزائر في هذا القرن عناية خاصة للتعليم³⁹.

وعليه يمكن القول بأن الجزائر مع نهاية القرن الحادي عشر هجري وبداية القرن الثاني عشر هجري تطورا في مختلف الفنون والعلوم وانتعاشا ثقافيا مس مختلف الجوانب.

ومن خلال هذا كله يبقى المجال مفتوح للبحث في وقائع هذه الأوضاع فلا يمكن الجزم فيها، فقد يأتي احدهم ويرى عكس ذلك.

المبحث الثاني: مظاهر إهتمام علماء تلمسان بعلم التفسير أثناء العهد العثماني (دراسة نماذج):

تناولت في هذا المبحث بعض إسهامات وجهود علماء التفسير خلال العهد العثماني بحيث أخذت بعض النماذج التي تعكس هذه الإسهامات.

المطلب الأول: ترجمة أحمد المقري وجهوده في علم التفسير:

الفرع الأول: اسمه.

هو احمد بن محمد بن احمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبي العيش بن محمد بن احمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبي عيش بن محمد أبو العباس المقري التلمساني المولد، المالكي المذهب، نزيل فاس ثم القاهرة حافظ المغرب، وحافظ البيان، لا يوجد له نظير في علم الكلام، يمتاز بجودة القريحة، وصفاء الذهن، وقوة البداهة، وكان آية باهرة في التفسير والحديث، معجزا في الأدب والمحاضرات⁴⁰.

وهو من أصل تلمساني، ولد سنة 986م وتوفي سنة 1578م⁴¹.

الفرع الثاني: نشأته العلمية وشيوخه.

³⁹ الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش، مقدم فاطمة، ص11.

⁴⁰ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحي، ج4، ص9.

⁴¹ تعريف الخلف برجال السلف، أبو قاسم الحفناوي، تح: خير الدين شتدة، ج3، ص28.

1_نشأته:

نشأ المقرئ بتلمسان، وتعلم بها حيث قرأ على عمه الشيخ أبي عثمان ابن سعيد ابن أحمد المقرئ، الذي ساهم في تكوينه تكويناً أدبياً وموسوعياً، بعد أن قرأ سنوات طويلة، ومن جملة ما قرأ عليه القرآن الكريم وصحيح البخاري⁴²، حفظ القرآن بتلمسان، وطلب العلم وتلقاه بمن بقي بها من العلماء والفقهاء والأدباء مقيماً معتكفاً على دراسة العلوم الأدبية واللغوية والدينية⁴³.

جلس إلى جملة من الشيوخ المغاربة والمشاركة، ناظر بعضهم كما أجازوه بدءاً من علماء بلده إلى علماء المغرب الأقصى وعلماء المشرق، واستجازه تلاميذه، وهم الذين استفادوا من علمه وآدابه حتى صاروا كبار العلماء والإعلام⁴⁴.
ب-شيوخه:

أخذ عن عمه كما قلنا سابقاً، كما أخذ عن الشيخ أحمد بابا التنبكتي⁴⁵، أما عن شيوخه بالمغرب الأقصى، هم كثيرون من أبرزهم: أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلمي، كان قاضياً ومفتياً بمدينة فاس، -أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم النعيم، أبو العباس أحمد بن محمد، أبي العانية المكناسي⁴⁶.
شيوخه بالمشرق: اعتبر عددهم ثلاثة مشايخ: عبد الرزاق بن تاج الدين بن علي بن زين العابدين المناوي.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج العامري⁴⁷. عبد الرحمان الآجهوري⁴⁸.

⁴² رسائل المقرئ، أحمد المقرئ التلمساني، تج: أسماء القاسمي الحسني، ص 18.

⁴³ المصدر نفسه، ص 20.

⁴⁴ رسائل المقرئ، أحمد المقرئ التلمساني، تج: أسماء القاسمي الحسني، ص 20.

⁴⁵ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقرئ، تج: إحسان عباس، مج 1/ ص 38.

⁴⁶ المصدر نفسه، ص 38.

⁴⁷ رسائل المقرئ، أحمد المقرئ، ص 21.

الفرع الرابع: جهوده في علم التفسير⁴⁹:

ترك العشرات من التصانيف والتأليف في فنون شتى وعلوم متنوعة، هاجر إلى فاس واشتغل بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها بجامع القرويين، وكانت له مجالس خاصة في التفسير وبقية العلوم، وقد دام على ذلك أكثر من أربعة عشر سنة، جمع فيها مكتبة ضخمة غنية من شتى الفنون والعلوم، ثم قصد القاهرة وأقام دروسه بجامع الأزهر الشريف، وكان من تلامذته الشهاب أحمد العجي⁵⁰، الذي أجازه الشيخ المقري، ويذكر أنه اخذ عنه التفسير وإن المقري كان يشرح تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل). ثم قصد الإمام المقري بلاد الشام، وأصبح خطيباً ومدرساً بجامع الأمويين لفترة وجيزة جداً.

وعلى الرغم من التأليف الكثيرة والكبيرة التي قام بها الإمام المقري، إلا أنه لم يؤلف في التفسير أو علومه إلا مصنفاً واحداً هو "إعراب القرآن الكريم"، الذي هو أحد فروع التفسير.

وقد أشار إلى هذا المصنف بروكلمان في تاريخه، ووصف دوسلان نسخة منه في مكتبة باريس، وقال أنها مبتورة البداية وناقصة، ويبدأ بالآية 254 من سورة البقرة، وهو مخطوط مؤرخ في تونس سنة: 107هـ، عدد لوحاته: 229 لوحة. قام الطالب أحمد فراحي بالعمل على تحقيقه وإخراجه لنيل شهادة الدكتوراه، بقسم اللغة جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.

⁴⁸ المصدر نفسه، ص 21.

⁴⁹ انظر: جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص 119-ص 128.

⁵⁰ أحمد بن إبراهيم العجي الشافعي الوفاي المصري الأزهرى، شهاب الدين: فاضل من المشتغلين بالحديث، ولد سنة 1014هـ، ومات سنة 1086هـ، انظر: فهرس الفهارس، الكتاني، ج 1/ص 115.

قام الإمام المقري بإعراب القرآن الكريم في مصنفه هذا، وقصد إلى الكتابة فيما يشكل من إعراب القرآن الكريم، وليس إلى إعراب القرآن كلمة كلمة، إذ لم يتطرق للمعاني بقدر تطرقه للناحية الإعرابية من الآية فقط.

وبدا من سورة البقرة منتها بسورة الناس، وقد كان الإمام المقري في إعرابه هذا مهتما بإيراد أقوال المدارس الكوفية والبصرية وأعلام كل مدرسة، مرجحا لأحكام بعضها على بعض، ليس في النحو فقط بل حتى في الصرف أيضا، واعتمد المقري ترجيحات بعض القراء عند ذكره لبعض ترجيحات النحويين استثناسا في بعض المسائل كالوقف والابتداء وغيرها، كما يورد بعض آثار السلف التي تشرح معنى الآية بعد إعرابها، وإن كان مقلا جدا من ذلك، وقد سار المقري في مصنفه هذا غالبا على هذا النهج والأسلوب، ولم يدخل أي فن أو علم من علوم التفسير المشتهرة.

ولا يمكن تلمس اهتمام وعناية الإمام المقري بالتفسير كتابة في غير مصنفه "إعراب القرآن"، إلا من خلال كتابه "نفح الطيب" الذي أبان فيه عن اهتمام بالغ بأعمال وأثار السابقين في المذهب أو غيره في التفسير أو أحكام القرآن، وتفسيره لبعض آيات القرآنية المبتوثة في بعض تصانيفه، خاصة أننا بينا أنه لم يصنف في التفسير إستقلالا إنما في فرع من فروع مصنفه "إعراب القرآن"، وإن غالب جهده في هذا الفن كان دروس وحلقات يقيمها في مساجد وجوامع تلمسان وفاس والقاهرة ودمشق وغيرها من البلدان التي كان يهاجر إليها.

المطلب الثاني: ترجمة الإمام عبد الرحمان بن إدريس بن احمد المنجري التلمساني، أبو زيد وجهوده في علم التفسير.

الفرع الأول: اسمه ونشأته العلمية.

عبد الرحمان بن إدريس بن احمد المنجري، الإمام العلامة المتفنن، من عائلة تلمسانية عريقة قدمت فاس أواسط القرن التاسع هجري، ولد بحومة

المخفية من عدوة فاس الأندلس سنة:1111هـ، احد فقهاء المالكية بالحاضرة الفاسية،تولى الإمامة والتدريس بمسجد الشرفاء عام:1164هـ وعقد فيه حلقاته الشهيرة في شرح "صحيح البخاري" وبعد الفجر له حلقة سماع "المختصر"، ثم إماما بالحرم الإدريسي وخطيبه لسنوات طويلة، توفي سنة1179هـ بفاس وصلي عليه بمسجد القرويين.

من عائلة المنجرة الشهيرة التي دخلت فاس وزادت حاضرتها رفعة وعلموا بقدمها، إمام في القراءات، مفسر⁵¹، لقبه صاحب "سلوة الانفاس" بشيخ جماعة القراء بفاس وإمام الحرم الإدريسي وخطيبه.⁵²

الفرع الثاني: شيوخه وتلاميذه⁵³.

من شيوخه الذين تتلمذ عليهم: أبو العباس المسناوي الدلائي، ووالده المنجرة الذي اخذ عنه القراءة وأجازه فيها وله تصنيف في الأسانيد، له فهرسة ذكر فيها شيوخه.

وممن تتلمذ عليه واخذ عنه:محمد بن عبد السلام الفاسي،ومحمد بن عبد الرحمان التادلوي،ومحمد بن أحمد الهبطي،والعربي بن أحمد الدرقاوي الذي عده في رسائله من جملة شيوخه الذين قرأ عليهم القرآن.

الفرع الثالث: جهوده في علم التفسير.

من تصانيفه: "حاشية على كنز المعاني في شرح حرز الأمان"، "والمقاصد النامية في شرح الدالية" لابن المبارك وهي نظم في التجويد، و"حاشية على تقريب الكلام في تخفيف حمزة وهشام" وغيرها⁵⁴.

⁵¹ معجم المفسرين، عادل نويم، ج1، ص263.

⁵² سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبل من العلماء والصلحاء بفاس، محمد جعفر الكتاني، ج2، ص362.

⁵³ جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص179-180.

⁵⁴ جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص180.

لم يوجد من أشار إليه بالتضرع وممارسة التفسير غير الكتاني صاحب "سلوة الأنفاس" الذي ذكر في ترجمته انه كان متفننا في التفسير، وانه كان يجلس أول النهار بعد صلاة الصبح لتدريس التفسير بمسجد الشرفاء بفاس، ثم ينتقل لمسجد القرويين لأجل مجلس إلقاء القراء وسماع القرآن⁵⁵.

ولشرح المصادر التي تكلمت عن هذا العلم لا يمكننا معرفة أسلوبه ومنهجه في التفسير، على الرغم من شهرة مجالسه التفسيرية والإقراطية التي كان يعقدها بالقرويين ومسجد الشرفاء الذي مارس فيه التدريس زهاء الخمسة عشر عاما، كما لا يمكننا معرفة إذا ما كان يفسر القرآن في تلك المجالس من عنديته أم انه كان معتمدا على تفسير من التفاسير المشهورة ويقوم بشرحه لطلابه، كصنيع الإمام المقري وغيره، وهل كان تفسيره معتمدا على التفسير الإشاري الصوفي باعتباره أحد أقطاب الطريقة الشاذلية في زمانه والمروجين لها أم لا؟

وما يمكن قوله هو أنه إعتد على القراءات كأحد أبرز علوم القرآن في التعاطي مع الآي الكريم، ذلك أنه متخصص في هذا الفن والذي ألف فيه مصنفين، الأول: "حاشية الجعبري الكبيرة" وهي حاشية على شرح الجعبري لمتن "الشاطبية"، والثاني: "شرح الدالية" لابن المبارك وهي نظم في التجويد، ولن تخلو مجالسه التفسيرية التي كان يعقدها من درر هذا الفن، وإسهابات كونه صاحب صنعة في القراءات⁵⁶.

المطلب الثالث: ترجمة الإمام محمد احمد بن الوقاد أبو عبد الله، وجهوده في علم التفسير:

الفرع الأول: اسمه ونشأته العلمية.

⁵⁵ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، ج2، ص362.

⁵⁶ جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص181-182.

محمد بن احمد بن محمد المشهور بابن الوقاد، أصله من تلمسان وبها نشأ، لا يعلم تاريخ مولده تحديداً، مفسر⁵⁷ مشارك في الفنون العديدة، عالم بالتفسير الحديث والفقه والأدب، هاجر من حاضرة تلمسان على اثر الدخول العثماني عليها، ونزل مدينة ترودانت⁵⁸ بالمغرب الأقصى، ونظرا لاستحكام العجمة في ألسنة السوسيين، اضطر إلى الذهاب إلى سجلماصة فمكناي ففاس، ثم عاد إلى ترودانت، فولي التدريس والفتوى والإمامة والخطبة بجامعها الكبير إلى أن توفي بها سنة: 1001 هـ ودفن في قبلة الجامع.

الفرع الثاني: شيوخه وتلاميذه.

من شيوخه الإمام التنسي الذي ختم عليه "صحيح البخاري" ست عشر مرة قراءة بحث وتحقيق⁵⁹، والمفسر أبي عبد الله محمد ابن جلال التلمساني، أحد أعلام التفسير هو الآخر في القرن العاشر، ومحمد شقرون بن وهيبة مفتي مراكش.

تولى تدريس التفسير وبقية الفنون في الجامع الأعظم بتلمسان قبل هجرته منها، وكان حينها خطيباً بالجامع، ودرس التفسير والحديث والفقه أيضاً بجامع الأندلس بفاس لسنوات طال، فقد تتلمذ الإمام التمنارتي أبو زيد عبد

⁵⁷ معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج1، ص343.

⁵⁸ تارودانت من اعرق المدن المغربية بمنطقة سوس، أسسها الأميرة الأمازيغية تارودانت في القرن الثالث قبل الميلاد، وبذلك يرجع تاريخها إلى العهود القديمة (الفترة الفينيقية) حيث اشتهرت كمركز حضر وتجارة. اكتست أهمية بالغة خلال الفترتين المرابطية والموحدية حيث اعتمدت قاعدة عسكرية لمراقبة منطقة سوس وضمان استقرار الطرق التجارية الصحراوية.

انظر الموقع الرسمي للبلدية: <http://www.taroudannt.ma>

⁵⁹ تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص349. نقلا عن : جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص114.

الرحمان صاحب "الفوائد الجمة" على يديه، وأخذ عنه جملة من العلوم منها علم التفسير⁶⁰.

الفرع الثالث: جهوده في علم التفسير.

والملاحظ أن الإمام ابن الوقاد قد مارس التفسير تدريساً لا تأليفاً، ولم يترك لنا مصنفاً في التفسير أو علومه، كما أن طلبته لم يذكروا عنه نماذج من تفسيره يمكن اعتمادها في تحليل ودراسة أسلوبه التفسيري وطريقته في ذلك، إلا ما أشير إليه من مزاولة تدريس التفسير وأخذ التفسير عنه من طرف تلميذه التمنارتي.

ويمكن تلمس همة الإمام ابن الوقاد في تدريس التفسير وبقيّة الفنون من خلال رحلاته المتوالية والمتتابعة ووصف تلميذه له أنه كان مواظباً على التدريس والتفسير، فقد تنقل من منابر وكراسي دروس العلم من تلمسان إلى سوس فسجلماسة فمكناس ففاس، ليختم رحلته التعليمية الطويلة هاته بتروادانت والتي توفي بها، وتبقى قلة المصادر التاريخية حجرة عثرة في إبراز جهود ابن الوقاد في التفسير وبيان أسلوبه في ذلك⁶¹.

الخاتمة:

كانت هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي:

- مر الحكم العثماني في الجزائر بثلاثة ادوار رئيسية: دور الولاة الملقبين بيكلربك (1518م-1587م)، ودور الباشاوات (1587م-1671م)، ودور الدايات (1671م-1830م).
- التدهور السياسي والاجتماعي اثناء العهد العثماني حد من ازدهار الحركة العلمية التي كانت في الدولة الزيانية.

⁶⁰ جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص114.

⁶¹ جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني عيساوي، ص115-116.

- اعتبر المقرئ ومحمد احمد بن الوقاد ابو عبد الله واحمد المنجري التلمساني من كبار العلماء الذين تركوا بصمتهم في علم التفسير اثناء العهد العثماني.
- بروز جهود علماء التفسير بتلمسان من خلال التدريس اكثر منه في التأليف.

قائمة المصادر والمراجع:

- البيوتات العلمية بتلمسان الزيانبة بيت المقرئ وإسهاماته الحضارية، الملتقى الوطني في إطار فعاليات شهر التراث، (18 افريل، 18 ماي 2015) المقدمة.
الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش، مقدم فاطمة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران السانية، إشراف سكران عبد القادر، السنة الدراسية: 2010م-2011م.
الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، علي محمد الطلابي، ط2، دار المعرفة، بيروت.

تعريف الخلف برجال السلف، أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم الغول، (1334هـ-1906م)، مطبعة بيسر فونتانة الشرقية في الجزائر.

تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، الكتاب1، الدار التونسية للنشر، 1984م.

حاضرة تلمسان ومساهمة فقهاء في خدمة المذهب المالكي، ماحي قندوز، جامعة تلمسان، ضمن الملتقى الوطني، جهود فقهاء الجزائريين في خدمة المذهب المالكي، جامعة الوادين ص109.

رسائل المقرئ، احمد المقرئ التلمساني، تح: أسماء القاسمي الحسني، ط1، دار خليل القاسمي، الجزائر.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، احمد المقرئ التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، د ط (1408هـ-1988م).

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، تح: كولان بيفي بروفيتسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، (1993م).

التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن ميمون، تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزق بن طهروني، ج1، دار ابن جوزي، 1426هـ، ط1.

الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن قاسم بن محمد بن بشار أبوبكر الأنبا ري، تح: خاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، (1412هـ-1992م).

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن جماد الجوهري، تح: احمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، بيروت لبنان، ط4، (1407هـ-1987م).

المصباح المنير في غريب شرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، ط، دس.

الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، يحي بوعزيز، دط، دت، ديوان المطبوعات الجامعية.

-انظر الموقع الرسمي للبلدية: <http://www.taroudannt.ma>

انظر: فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ، 1982م، ط2، ج1.

-باقة سوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون الجزائر، 1995م.

تاريخ الجزائر الثقافي، أبو قاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1998م.

تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، دار الامة، ط(2010م).
تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، تح: عادل احمد عبد الموجود
وجماعة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1413، 1هـ-1993م.

-تهذيب اللغة، محمد بن احمد بن الأزهرى الهروي، تح: محمد عوض مرعب،
دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1422هـ-2001م).

-جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأردني، تح: رمزي منير
بعلبكي، دار الملايين، بيروت لبنان، ط1 (1987هـ).

جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، عبد الغاني
عيساوي، رسالة دكتوراه، 1436هـ 2015م.

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي.

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس،
محمد جعفر الكتاني، د ط، د ت.

-سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم
أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية
- فيصل عيسى البابي الحلبي.

معجم إعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت
لبنان، ط1400، 2هـ-1980م.

-معجم العين، خليل الفراهيدي، نح: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار
ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، د ط، د س.

معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل
نويهض، 1409هـ-1988م، ط3.